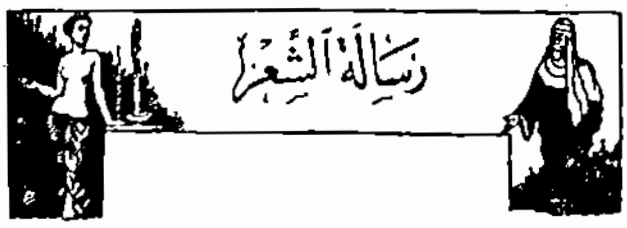

صلوات روح

للاستاذ إبراهيم محمد نجا

سموت بالروح إلى خالق ... في ليلة نشوى بخمر الضياء
ذابت بها الظلمة حتى غدت ... أسطورة طال عليها العفاء
وورق فيها النور مسترسلا ... كهمس ناى هائم في الفضاء
ما زلت أسمو ، والمنى في يدى ... رفافة مثل النجوم الوضاء
وفي شعوري نشوة حلوة ... تسكب في نفسي أرق الغناء
وملء نفسي فتنة ترتوى ... من روعة الليل، وسحر المساء
حتى انتهت روحي بأشواقها ... لمنهل الغيب الذي في السماء
كما انتهى للنبع بعد السرى ... في البيد ركب الحائرين الظماء
فانتفضت فيها ضراعاتها ... وأطلقت في الصمت هذا النداء :
يا منهل الغيب ... اسقني قطرة ... من ذلك النور ، وهذا الصفاء
تجعل حياتي نغما شاديا ... في عالم يهفو إليه الرجاء
أحسه صوتاً عميق الصدى ... يهز أعماق بسحر الدعاء
وصورة طال عليها المدى ... وما خبا فيها رفيف الرواء
يا منهل الغيب ... وبي حيرة ... قد صيرتني أستحق الرثاء
كطائر أبعد عن عشه ... فهام في إحدى ليالي الشتاء
وبي حنين يتحدى الثرى ... ويرتقي بي طائراً حيث شاء
ولي قيود تتحدى مدى ... لو أنني أدمي سبيل الملاء
لبستها ثوبا إله الورى ... قد صاغه لي من تراب وماء
حتى يحين الأجل المرتجى ... فأنزع القيد ، وألقى الرداء
يا منهل الغيب ... وبي غربة ... نبت في عمري هموم البقاء !
لا الأرض داري، لا، ولا أهلها ... أهلي، فكيف الصبر؟ كيف العزاء
غريبة بالحب في عالم ... الحب فيه خدعة أو رياء
نسجته ظلا به يحتمي ... وصغته نوراً به يستضاء
وطفت في دنياي مسحورة ... تغمرني إشراقة وانتشاء
أبحث عن روح أرى طيفه ... يغتن أيامي بحلم اللقاء
فلم أجده ، فألفت المنى ... حتى جفتني ، فألفت البكاء !

غريبة بالصمت ... من نايه ... يثير إلهامي أرق الحداء
أراه ظلا سابحاً في السنا ... كطيف عطر سابح في الهواء
وأحتسيه حسرة عتقت ... في الغيب ... يدري سرها الأنبياء
والصمت سر هائم في الدجى ... يهفو إلى الغيب ، ويبغي الخفاء
ضاعت حياتي منه أسرارها ... فاستغرقت في عزلة وانطواء
والصمت سحر همت في جوه ... على جناحي لهفة واشتهاء
والصمت بحر موجه نائم ... يحلم بالعودة من حيث جاء
عبرته وحدي على زورق ... يود لو يسري لغير انتهاء
وعدت منه بشهي الرؤى ... وفي الرؤى ري ، وفيها غذاء
فالصمت عندي بالرؤى حافل ... وعند غيري حافل بالهباء
غريبة بالحزن ... نيرانه ... تلقي على ضوئي ظلال الفناء
وسره في داخلي كامن ... محجب بالصمت والكبرياء
يدري أساه من رماني به ... ومن تولاني بطول العناء
إليه أشكو وحده غربتي ... وحيرتي في الأرض. أرض الشقاء
ولهفتي الكبرى إلى موطني ... في عالم يهفو إليه الرجاء
أبعدت عنه ، فعرفت الأسى ... وأنت أدري سر هذا الجزاء !
خطيئة الجنة من آدم ... علام تكوى نارها الأبرياء ؟

* * *

وأطرقت روحي بأشجانها ... لعلها تسمع صوت القضاء
فاهتز في أعماقها هاتف ... يشع مثل البارق المستضاء
وقال في صوت عميق الصدى ... عازج الرقة فيه المضاء :
يا هذه الروح التي تشتكي ... من دائها ، والداء فيه الدواء !
من يحمل الآلام يقعد بها ... إن لم يجملها بروح الفداء
فلتحملي الآلام في قوة ... فإنها تخشع للأقوياء
ولا تضيقي بحياة الورى ... وتهربي مما بها من بلاء
وجاهدي الليل بهذا السنا ... وكافحي الشر بهذا النقاء
فالبدر لا تظهر أنواره ... إن لم يرقها في ظلام المساء
والخير ما جدواه ؟ إن لم يكن ... قد ألجأ الشر إلى الالتواء
ورقرقي نورك من نبعه ... لكل ظمآن إلى الاهتداء
فالدر في الأصداف مثل الحصا ... ما دام لا يكشف عنه الغطاء
والبقلة الخضراء في أرضها ... خير من البستان بين الصراء
حتى إذا ناداك رب الورى ... وكنت قد أبليت خير البلاء
دخلت دنيا الغيب مزهوة ... لتغنمي فيها دوام البقاء
هذا قضاء الله في خلقه ... لكل شيء محنة وابتلاء